تزنيت 2013/10/26

ابراهيم التزنيتي

مسار النشأة

السلام عليكم
أيتها السيدات أيها السادة

اسمحوا لي في البداية أن اشكر السيد رئيس المجلس البلدي على حفاوة الاستقبال.

واشكر المنتدى المغربي للحقيقة والإنصاف الذي أعطانا هذه الفرصة التاريخية لتجديد الصلة بالفقيد سي ابراهيم ورفاقه من المقاومين الأبطال، الأموات منهم والأحياء، الذين سقوا بدمائهم تاريخ هذا الوطن، الذي يبدو أنه نسي وتنكر لهم بعدم تلبية وصية المجاهد الأكبر محمد الخامس طيب الله ثراه حيث أوصى ب (رد الاعتبار لهم وصون كرامتهم وإعلاء رتبهم وإنصافهم، والاعتراف بروح مواطنتهم والافتخار بهم وبما قدموه إلى المغرب من فخر وعز).

وشكري الخاص للمناضل الكبير، الاستاذ محمد بن سعيد أيت يدير الذي تحدى موانع الزمن فلبى نداء الواجب الوطني لينير جوانب مازالت مستورة وخفية من تاريخ رجال المقاومة وجيش التحرير والنضال من أجل الديمقراطية الحقة بهذه المناطق الجنوبية، خصوصا وأن أقلاما مأ جورة بدأت تنشط في تبخيس الرجال أعمالهم.

شكري وشكر العائلة لكل من ساهم في تنظيم هذا الحفل التكريمي من قريب أو من بعيد،

شكري وشكر العائلة لكل الوجوه الحاضرة.

أيتها السيدات أيها السادة

لا أخفي عليكم أن اسئلة كثيرة وكبيرة واجهتني أثناء صياغة هذه الإطلالة الصغيرة على مسار حياة المرحوم، الإطلالة التي قد لا تضيف لزادكم المعرفي عنه كثيرا لأسباب منها:

- شح الوثيقة المكتوبة بل فقدانها بسبب المداهمات التي تعرضت لها بيوت العائلة في فترات متعددة، وفي أ مكنة مختلفة.
- لجوء من تبقي-من رفاق المرحوم -على قيد الحياة إلى الصمت، إذ كل سؤال عنه بالنسبة لهم فهو سؤال مشبوه.
- التفاوت العمري لم يتـح إمكانية التواصل المباشر مع المرحوم في اللحظات القليلة التي كانت تجمعنا وإياه في إطار العائلة.

فقد ولد المرحوم سيدي ابراهم بن عبد الله بن احمد يعزى سنة1929م ب: قصبة اكرامن بتزنيت. وهو سليل أسرة متواضعة، معروفة بالعلم والورع والتقوى؛ أسرة أيت أوغرابو (السفينيين/ المرابطين) ، ذات معالم مبثوثة بالمنطقة؛منطقة تزنيت؛ وقد تلقى سيدي ابراهيم تعليمه الأولي على يد أبيه وجده أحمد يعزى، حيث حفظ القرآن على يديهما مبكرا...فقال عنه أخوه الأكبر سي محمد التزنيتي الذي اشتغل أستاذا بمعهد محمد الخامس بتارودانت- بعد إعفائه من القضاء ب أيت عتاب -: إن سي ابراهيم لم يحفظ القرآن فحسب بل شربه. ويعني حفظه بسرعة.. إذ كان لا يفارقه المصحف أثناء أسفاره المتعددة والمختلفة الغايات، حسب بعض رفاقه.

وأول لقب سيطلقه عليه زملاء أبيه هو(إماسن) لما لاحظوه فيه من جد وحزم والقيام بما يسند إليه من أعمال في صمت وإقبال منذ الصغر. فكان كثير الحركة والتنقل للدرس أو التدريس من شمال تزنيت (سيدي بوسحاب، إسكتـــان، أولوز، ابنڭرير...) إلى جنوبها (أيت بعمران، أيت براييم ، ڭلميم ، طانطان...).

وسرعان ما انخرط في خلايا الحركة الوطنية ومقاومة الاستعمار فأصبح له لقب آخر هو (الحطاب) الذي كان يوقع به مراسلاته وتقاريره عن منطقة ايت بعمران خاصة في بداية الاستقلال. (رسالة ينتقد فيها ما نشرته جريدة العلم عن مناطق ايت بعمران والصحراء سنة 1956...) أوردها عمر الساحلي في كتابه عن معهد محمد الخامس بتارودانت ... وسنعرف فيما بعد أنه يلقب أيضا في المنفى ب: الشيباني - عبدالله النمري - .ابراهيم التزنيتي.

وفي سنة 1959 هيأ سي ابراهيم دفتر الحالة المدنية للعائلة الذي سيحمل لقب المرابطين عوض أيت أغرابو أو السفينيين .

هذا الدفتر؛ دفتر الحالة المدنية يحتوي على عشرة أبناء؛ أربع بنات كبراهن شقيقته، وخمسة أبناء أكبرهم شقيقه، وهو ثالث الجميع...

وضع عائلي جعله متحررا من قيود الأم (عائشة ابراهيم) التي انتقلت إلى باريها منذ بلوغه السنة العاشرة تقريبا، ما جعل حضوره بالبيت لماما وكاد يقتصر على المناسبات الدينية؛ كالأعياد أو اللقاءات العائلية السنوية، إلا أنه كان حضورا متميزا إذ كان يجلس إلى الكبار واحدا واحدا، ويستمع إلى شكاواهم ومشاكلهم مع غيرهم ومع بعضهم البعض. فيقدم عنها آراء عادلة وحلولا جريئة يقبلها الجميع ويتحمس للعمل بها رغم صغره عنهم حيث كان السبب في زواج شقيقه الأكبر محمد من عائلة ميسورة بكَلميم ذات أصول بعمرانية. كما أقنع زوج شقيقته بالانتقــال إلى الدر البيضاء، بعد أن هيأ لهم منزلا ب درب السلطان.

وقد سألت أحد أصدقائه عن بداية معرفته به وقال بأنها تعود إلى حوالي سنة 1954م حين جاءني، مبعوثا، بالدار البيضاء قادما من بنكرير يبحث عن الاتصال ب سي عمر الساحلي(المتوكل)... كما أكد الأستاذ الدرقاوي (المحامي) بأن سي ابراهيم كان ينتسب معه لمدرسة بنكرير هو وأخوه محمد، إلا أن حضوره كان لماما، وكان يحدث مرة أو مرتين في الشهر...

كما أكد أحد تلامذته ب أيت باعمران سنة1945 ثم ب أولوز، أن المتوكل عمرالساحلي كان يزوره من حين لآخر؛ (المعرفة بين المتوكل وسي ابراهيم معرفة قديمة).

وفي سنة 1958 سيأخذ أباه إلى مستشفى ب بويزكارن لإجراء عملية جراحية أنقذته من موت محقق، وفي نفس الوقت أخذ أخويه الطاهر وعلي إلى مدرسة ابتدائية بقرية أنزي التي كان قائدها آنذاك أحد رفاقه في المقاومة المرحوم سي علي ابرني الذي استقبلنا بين ابنائه طيلة فترة الدراسة الابتدائية. وكان جل رواد هذه المدرسة آنذاك من أبناء شهداء جيش التحرير الذين توفوا في معركة استكمال الوحدة الترابية المعروفة ب: عملية المكنسة (إكُوفيون) والتي عاد منها سي ابراهيم سالما.

البيت الذي ولد به سيدي ابراهيم وقضى به طفولته الأولى يقع في مجال يتسم بتنوع مظاهر الاديان السماوية الثلاثة إضافة إلى بداية بروز بعض البنايات الحديثة:

مجال مسيحي؛ ويتمثل في مقبرة النصارى التي تشهد حركة / زيارات غير اعتيادية نهاية كل أسبوع بعد الرجوع من كنيسة غير بعيدة كذالك من البيت.

مقابر المسلمين التي تشهد أنشطة مخالفة خاصة صبيحة يوم كل جمعة المتميزة ب ضرورة حضور الصغار إلى قبة سيدي عبد الرحمان لتلاوة القرآن.
مجال ديني يهودي : حيث تقع دار جده من أمه وسط حي اليهود (الملاح) وقبالة معبدهم...وكان هذا البيت؛ بيت أخواله، الملاذ المفضل لدى سيدي ابراهيم لأنه يجد فيه كثيرا من الحرية وكثيرا مما هو محروم منه في بيت أبيه الذي يتحول من حين لآخر إلى ما يشبه زاوية دينية خاصة أواخر الثلاثينيات، ما نتج عنه التشدد الذي مال إليه والده في التربية إلى حد أنه كان لا يخفي حقده وكراهيته للمستعمر وما صاحب دخوله المدينة من تغير في الأخلاق والهندام والسلوك وعادات كالتدخين ... وله قاموس خاص في هذه المواجهة من مثل :أ يوداي كواداي/ أرومي سكَان/ بوتبغة / ونَا إكفان إلليس إ بولفريزي إكفات إواد سقر... أكثر من هذا فقد كان يهربنا الى الجبال في بداية كل سنة دراسية حتى لا نؤخذ عنوة إلى سكيلا(المدرسة الفرنسية) التي لا تبعد هي أيضا عن البيت إلا ببضعة أمتا ر.

إضافة إلى المجال الديني هناك دار الباشا التي تقع على شمال وادي تخسين الخارق للمدينة، وهي ذات بهو بمدخلها يعقد فيه الباشا بعد عصر كل يوم تقريبا جلسات شاي ومذاكرة يحضرها أحيانا والد سيدي ابراهيم من بين الجيران الفقهاء خاصة...

وعلى الضفة الأخرى من الوادي جهة الجنوب تقع ثكنة عسكرية ل الجيش الفرنسي (الكوم او لاليجو) الذي دأب على الخروج كل صباح للتداريب والتمارين العسكرية وأحيانا للقيام باستعراضات بهلوانية نهاية كل اسبوع في ساحة المشور القريبة من البيت أيضا...

وللبيت مرافق وملاحق ذات طابع فلاحي: أشجار الفواكه وزراعة الخضر-تربية المواشي والدواجن – مطامر لخزن الحبوب-مكان لتربية النحل وخزن الوثائق...

هذا البيت اقتطع منه سيدي براهيم جناحا خاصا به ...وكانت (مجاهد يامنة -أمه الثانية-) حارسه الأمين، وقد خلق لها ذلك متاعب مع بعض الجارات المسخرات من طرف سلطات الاحتلال لتضييق الخناق على البيت فأحدث له سي ابراهيم منافذ

أخرى ... وخلق لها مشاكل أخرى حتى مع أبنائها؛ فقد دفعني شخصيا حب الاستطلاع أثناء الطفولة فتسللت إليه خلسة مستعينا بسلم الجيران...كانت نوافذ الغرف ذات شبابيك حديدية. مددت يدي عبر إحداها فدفعت الباب فانفتح بسهولة. فهالني ما بدا لي من الداخل؛ أسلحة متنوعة وكومتان من الرصاص في وسط الغرفة. تطور حب الاستطلاع إلى حب التملك. فبدأت أبحث عن وسائل الوصول إلى ما يلوح من الداخل. راودتني أفكار الصغار، عزمت على تنفيذها. ولما هممت بالخروج بحثا عن وسائل التنفيذ وجدت والدتي واقفة مندهشة ومتعجبة مما تراه .... فأنَبت بشدة الجارة التي مدتني بالسلم...

ولما اندلعت المعارك مع اسبانيا حول مدينة سيدي افني (1957) أشعرت سلطات تزنيت السكان للخروج الى المخابئ المهيأة لهم-حسب الاحياء -كلما سمعوا صفارة الإنذار. رفضت الوالدة هذا الحل، فهيأت لأبنائها مخبأ بجانب نخلة كانت وسط حوش المنزل خوفا منها على استغلال الحدث ويقع التسلل إلى بيت سي ابراهيم.

بقي سي ابراهيم بدون زواج إلى بداية الستينات من القرن الماضي؛ (لما أدمج في الجيش الملكي) فبدأ يجهز بيته لاستقبال ربته دون جدوى.

وهكذا سيختفي في ليلة العرس الذي لم يكتمل-أو الذي لم يكن إلا مقدمة للعرس الحقيقي-إلى أن ذاعت أنباء استشهاده سنة 1973 من أجل إرساء الأسس المتينة للديموقراطية والعدالة وحقوق الإنسان، فيما عرف بأحداث مولاي بوعزة. فتحققت بذلك أمنيته، إذ كان الدعاء المفضل لديه هو:(اللهم أمتني شهيدا).

غير أن العائلة لحد الآن لا تعرف قبره رغم مكاتبة هيئة الإنصاف والمصالحة ثم المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان... ولا تتوفر على وثيقة رسمية عن الوفاة رغم مكاتبة الجهات المعنية الوطنية والمحلية؛ (الداخلية وعمالات وقيادات إقليم بولمان سنوات 2004/2003/2002/).

فيبقى بذلك حيا في سجلات الحالة المدنية ومرابطا بالدفتر العائلي ومجهول القبر من طرف العائلة.

أليس ذلك مدعاة للخيبة الكبرى والعميقة مرة أخرى؟

ألم يستمر الإنكار والتنكر والاستنكار في زمن الوعود الكاذبة؟

فأي إنصاف لأيــة مصالحـة؟

وماذا يجدي البكاء على (الرجال اللي ضاعو)؟ .

علما بأن المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير قد قامت، في محاولة لتدارك الموقف سنة 2002 فدعت العائلة الى التكريم الذي أقيم بسيدي افني. إلا أن كلمة السيد المندوب السامي وقفت عند ويل للمصلين. حيث اعتبره شهيدا إلا أنه لم يذكر كيف استشهد، ولماذا استشهد، وأين دفن جثمانه بعد استشهاده؟ فكان العزوف عن المشاركة بكلمة العــائلة التي ما زالت تنتظر الجواب عن مطلب تسليم جثمان فقيدنا وفقيد الوطن ابراهيم التزنيتي .

وشكرا لكم جمعيا.

عن عائلة الفقيد
الطاهر
المرابطين